اقتبستُ لك

يحتاج الإنسان أحيانا إلى الهزل أكثرَ من الجد ، وإلى الترويح عن النفس أكثرَ مما هو بحاجة إلى العمل المتواصل الدؤوب، فالنفس مَيَّالة إلى الملل والضجر، إن لم تأخذ حظّها من الاستجمام والترفيه. ومن هنا كان للدعابة و الفكاهة أثرهما في تنشيط النفس وجلب السرور لها ، وكتب العربية ملأى بهذه الطرائف ومنها ما كتبه ابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد عن الفكاهي أبي دلامة.

كان أبو دلامة شاعرًا فاكهًا، ومُحدّثًا بارعًا، عذبَ الروح، خفيفَ الظِّلّ، حاضرَ البديهة، حُلوَ الدُّعابة، فأُعجبَ به الخُلفاءُ وأصحابُ السلطان، يستعذبونَ حديثَهُ، ويستطيبون مجلسَهُ، ويجزلون عطاياه، وله معهم نوادرُ كثيرةٌ وطرائف مستملحةٌ. فمن ذلك: أنه دخل على الخليفة العباسي المهدي، وعنده جماعة من بني هاشمٍ، فقال له المهدي:

– إن لم تهجُ واحدًا ممَّن في البيت قطعتُ لسانك، أو ضربتُ عُنقَك. فنظر إليه القوم، وكلما نظر إلى واحدٍ منهم غَمَزَهُ بأنَّ عليَّ رِضَاكَ. فقال أبو دلامة في نفسه: فعلمتُ أني قد وقعت، وأنها عزمةٌ من عزماتِه لا بد منها. فما أرى أحدًا أحقَّ بالهجاء منّي، ولا أدعى إلى السلامة من هِجَاء نفسي، فقلتُ:

ألا أبلِغْ لديكَ أبَا دُلامَهْ ... فلستَ مِنَ الكِرَامِ وَلاَ كَرامَهْ
جمعتَ دمَامَةً، وجَمَعتَ لُؤمًا ... كذاكَ اللُّؤْمُ تَتبعُهُ الدَّمامَهْ
فإن تَكُ قدْ أصَبْتَ نَعِيمَ دُنيَا ... فلا تفرحْ فقد دَنَتِ القِيامَهْ

فضحِك القومُ، ولمْ يبقَ منهُم أحدٌ إلا أجازَهُ.

(العقد الفريد لابن عبد ربه)